انهيار وسقوط الدولة الصفوية في إيران

م.د. إيمان عليوي سلومي

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية/ قسم التاريخ

Uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

واجهت الدولة الصفوية في ايران* في بداية نشؤها مخاطر كبيرة كانت كفيلة بأن تقضي على هذه الدولة الفتية، الا انها لم تستطع ذلك، واصبحت الدولة الصفوية تشكل خطرا على الدول المحيطة بها حيث كانت قوة يحسب لها الف حساب.

لكن الامر المثير أن نهاية الدولة الصفوية التي اثبتت قدرتها على البقاء والاستمرار سوف تكون على ايدي القبائل الافغانية، بينا عجزت دولة قوية مثل الدولة الاوزبكية وامبراطورية كبرى مثل الامبراطورية العثمانية على الاطاحة بالدولة الصفوية وهي مانزال تشق طريقها في الظهور، وقد استمرت الدولة الصفوية تحارب على اكثر من جبهة إلى أن كف الاوزبك في الشرق والعثمانيون في الغرب عن التحرش بالكيان الجديد.

جاء البحث ليلقي الضوء على نهاية الدولة الصفوية التي جاءت من داخلها المتآكل، الا أن الافغان هم من تنبه إلى هذا التآكل فانزلوا ضرباتهم المميتة بهذا الهيكل الفارغ، وهذا ماسنلاحظه خلال البحث.

وختاما ارجو أن اكون قد وفقت في طرح الموضوع، ولكني أود أن اعترف ربما قد اكون اطلت في جانب واختصرت في جانب اخر، وهذا الامر من سمات البشر فالكمال لله واحده، ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: (انهيار، سقوط، الدولة الصفوية).

* سميت ايران بهذا الاسم عام ١٩٣٥، واينما وجدت في هذا البحث تحت هذا الاسم فالمقصود بها بلاد فارس.

The collapse and fall of the Safavid state in Iran

Dr.. Iman Alawi Salloumi
Al-Mustansiriya University/College of Basic Education/History Department

Abstract:

The Safavid state in Iran*, at the beginning of its emergence, faced great dangers that were capable of eliminating this young state, but it was not able to do so, and the Safavid state became a danger to the surrounding countries, as it was a force to be reckoned with.

But the interesting thing is that the end of the Safavid state, which proved its ability to survive and continue, will be at the hands of the Afghan tribes, while a strong state such as the Uzbek state and a major empire such as the Ottoman Empire were unable to overthrow the Safavid state and it is still making its way to appear, and the Safavid state continued to fight more From the front until the Uzbeks in the east and the Ottomans in the west stopped harassing the new entity.

The research came to shed light on the end of the Safavid state, which came from its corroded interior, but the Afghans were the ones who noticed this erosion and inflicted their deadly strikes on this empty structure, and this is what we will notice during the research.

In conclusion, I hope that I have succeeded in presenting the subject, but I would like to admit that I may have gone too far in one aspect and shortened in another, and this matter is one of the characteristics of human beings.

Keywords: (collapse, fall, Safavid state).

١ـ الملوك الصفويين المتأخرين ١٦٢٩ـ ١٧٢٢

اولا: الشاه صفي (١٦٢٩– ١٦٤٢):

توفي الشاه عباس الكبير (١٥٨٨– ١٦٢٩)[*] عام ١٦٢٩، وشـــهدت الدولـــة الصفوية بوفاته تدهورا وانحلالا كبيرين حيث لم يخلفه شاه قوي مثله، وانمـــا حكـــم

[*] الشاه عباس الكبير: تولى الحكم بعد أن عزل والده محمد خدابنده، وسمل عيون اخويه الصغيرين وحبسهما في قلعة الموت، كان له من العمر سبعة عشر سنة عندما ارتقى العرش، يعتبر

بعده اربعة ملوك صفويين تميزت عهودهم بالتدهور والضعف في الدولة الصفوية ومن ثم دخولها مرحلة الانهيار والسقوط (بروكلمان، ١٩٧٩، ص٥٠٢-٥٠٤) .

لكن قبل وفاة الشاه عباس الكبير حرص على أن يختار وليا للعهد حتى لايفاجئه الموت ولا وجود لوريث شرعي، مما قد يعرض الدولة للفتن والمؤمرات واخيرا وقع اختياره على حفيده سام ميرزا بن صفي ميرزا الذي اغتيل بأمر الشاه عباس. واستطاع الشاه أن ياخذ البيعة لحفيده من جميع امراء البيت الصفوي (جمعة، ١٩٨٠، ص٢٨١).

اتخذ الملك الجديد لقب (شاه صفي) وكانت مدة حكمه ١٣ عاما، وحالما تولى شاه صفي الحكم أفتتح عهده بسلسلة من الجرائم البشعة فقد اصدر اوامره بالقاء عميه السجينين محمد ميرزا وامام قلي من فوق اسوار قلعة الموت كما امر بقتل ابن عمه (امام قلي)، وقام بسمل عيني القاسم حفيد الشاه عباس من ابنته كما قتل عدد اخر من احفاد الشاه وسمل عيون عدد اخر منهم وقد طالت جرائمه معظم افراد البيت الصفوي حتى زوجة الشاه صفي وابنته (الموسوي، ٢٠٠٧، ص٢٠٢).

كما قام باعدام عددا من قادة الجيش ومستشاري جده، كان في مقدمتهم (امام قلي خان) فاتح هرمز، فقد قتله سنة ١٦٣٣ وقتل أبناءه الصغار ايضاً حتى لا يطالبوا في المستقبل بثأر أبيهم (ابو مغلي، ١٩٨٥، ص٢٥٤).

وبأوامر من الشاه ايضاً تم قتل وزيره طالب خان بعد أن مكث ثلاثة أعوام في منصبه وسمل عيني القاضي محسن نجل القاضي معز الاصفهاني وقطع يديه، كما

عصر عباس الكبير عصر الازدهار في تاريخ الدولة الصفوية، حكم مدة ٤٣ سنة قضاها في تثبيت اركان حكمه، الا انه في نفس الوقت بذر بذور الاساسية لكارثة السقوط لاحقا، فانه يتحمل إلى حد ما انحلال وتفسخ خلفائه منذ أن امر بالقائهم في قصر الحريم، وحرمهم من التدرب على الفروسية. الذي كان عرفا سائدا في الدولة الصفوية حتى غيره الشاه عباس.

قتل احد القادة العسكريين وهو جراغ خان (الموسوي، ٢٠٠٧، ص٢٠٣)، وبذلك يكون صفي قد أتم ما بدأه الشاه عباس الكبير، وكانت تلك رغبة الاثنين معاً، أن يضعا الأسرى والعبيد في المناصب العليا من أجل تقليص دور الطبقة الارستقراطية والحط من قدرها وذلك لفسح المجال امام الملوك الفرس لممارسة سلطة مطلقة غير خاضعة لرقابة، وهناك من يذكر بان الشاه عباس قد ترك امرا سريا اوصى فيه بقتل اشخاص معينين من الخانات الكبار (غنام، ١٩٨٥، ص١٣).

وخلال فترة حكم الشاه صفي، أصبح البلاط الصفوي مسرحاً لنشاط الحريم، حيث أمضى الشاه معظم حياته منغمساً في ملذاته من الخمر والنساء وبذلك أصبحت الدولة من الضعف اغرى الاعداء في الخارج لمهاجمة الدولة، حيث قام العثمانيون بمحاولة لاستعادة بغداد بعد وفاة الشاه عباس عام ١٦٢٩ (حتي، ١٩٧٥، ص٦٥)، حيث قاد الصدر الاعظم خسرو باشا جيشاً عثمانياً بلغ حوالي ثلاثمئة الف رجل في أيار ١٦٢٩ توجه إلى اردلان ثم زحف إلى همدان فوصلها في حزيران ١٦٣٠، وبعد ن نهبها مكث فيها بضعة ايام ثم توجه إلى بغداد وفرض عليها حصاراً شديداً في تشرين الأول ١٦٣٠ واصبحت بغداد في خطر، لكن الحامية الصفوية فيها كانت مستعدة للمقاومة بعد أن زودها الصفويون بالمؤن والذخائر، لذلك انسحب الجيش العثماني بعد اربعين يوماً من بداية الحصار دون أن يتمكن الصفويون من عرقلة الانسحاب لضعف استعداداتهم العسكرية في عام ١٦٣٠ (عوض، ١٩٩١، ص١٦١).

وكان لدى الشاه صفي حوالي ستين الفاً من القزلباش الذين عسكروا بالقرب من بغداد، ولم يتجرأ الشاه صفي على قتال العثمانيين على الرغم من استفزازهم لقواته.

استطاع الفرس من التصدي لمحاولة العثمانيين لاسترداد بغداد عام ١٦٣٦ لكن السلطان مراد الرابع جهز جيشا كامل العدة والعدد وسار على راسه إلى مدينة بغداد وبدأ بحصارها بشكل منظم في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٦٣٨، فسلط المدافع على اسوارها وبدأت الجيوش العثمانية هجوما رغم مقتل الصدر الاعظم طيار محمد باشا، واستمرت الحرب ٤٨ ساعة متوالية انتهت بانتصار الجيوش العثمانية نصرا كبيرا ودخولهم مدينة بغداد وارجاعها إلى الدولة العثمانية (ابو زيدون، ٢٠٠٣، ص١٦٤).

بعد ذلك عرض الشاه صفي الصلح على الدولة العثمانية، وبعد اتصالات مستمرة بين الدولتين استغرقت نحو عشرة أشهر، تم توقيع معاهدة السلام، بينهما في يوم ١٩ ايلول ١٦٣٩، والتي سميت بمعاهدة "زهاب" أو "قصر شيرين"، والتي نصت على مايلي (الصباغ، ١٩٩٩، ص١٩٥):

١- يخضع للدولة العثمانية حكم كل من (بغداد، جصان، بدرة، مندلي، درنه، والاراضي الواقعة بين درتنك، وسرحيل، والقرى الواقعة غربي قلعة زنجير إلى طريق شهرزور، وقلعة قزلجة وتوابعها، وجميع القلاع في اخسجة وقارص ووان وشهرزور والبصرة،) كما يناط بالدولة العثمانية حكم قبيلتي ضياء الدين وهاروني الكرديتين.

٢- يخضع للدولة الصفوية كل من القلاع الواقعة شرق مندلي ودرتنك وبيرة وزردويكه وزمردهاوا والغابات الواقعة شرق قلعة زنجيبر ومهربان، وقلعتي كاكوز وماكور الواقعتين في اعالي جبل وان وقلعة مغاذير الواقعة في منطقة قارص.

٣- تمتنع الدولة العثمانية عن التعرض للخلفاء الراشدين والصحابة واستعمال الكلمات غير اللائقة بحقهم.

٤- تمتنع الدولة العثمانية عن التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الصفوية.

وبهذه المعاهدة استقرت الحدود دون تغيير لمدة ثمانين عام لانشغال الدولتين بمشكلاتهما الداخلية (هريدي، ٢٠٠٥، ص١٩٦).

على الرغم من أهمية معاهدة زهاب لانها كانت الركيزة الاساسية في تثبيت الحدود الاصلية والاقليمية بين العراق وايران، خصوصاً في العمليات الجيوتاريخية لسلسلة ما أعقبتها من معاهدات، لكن هناك بعض المأخذ عليها هو إنها شطرت بعض القبائل الكردية إلى قسمين كعشيرة الجاف التي غدا قسم منها تحت النفوذ الصفوي والقسم الاخر تحت الحكم العثماني فكان هذا التقسيم بهذه الطريقة جعل هذه العشيرة مصدر ازعاج للطرفين وفيما يتعلق بمنطقة مهربان فقد فرط بها العثمانيون للصفويين وكانت تتبع اصلا لولاية شهرزور العثمانية (الصباغ، ١٩٩، ص١٩٦)

كما شن الاوزبك هجمات عديدة على الدولة الصفوية لكنها بائت بالفشل، أما علاقات ايران بالهند فقد شن شاه جهان حملات على قندهار واستولى عليها. توفي الشاه صفي عام ١٦٤٢ وهو في طريقه إلى قندهار ليخلفه على العرش بعد اربعة ايام ابنه عباس ميرزا الذي تلقب بـ(عباس الثاني) وخلال توليه اثبتت المؤسسة العسكرية (القزلباش) قدرتها من جديد على حماية العرش الصفوي من خلال جلوس طفل في العاشرة من عمره دون مشكلات تذكر (الموسوي، ٢٠٠٧، ص٢٠٦).

ثانياً: الشاه عباس الثاني (١٦٤٢-١٦٦٦):

تولى الشاه عباس العرش عام ١٦٤٢، وبما انه كان طفلا تولى مقاليد الأمور ميرزا تقي (اعتماد الدولة) والذي وضع مقاليد السلطة في يده إلا أن الأمراء الاخرين وقعوا في خلاف معه واثاروا الشاه عباس الثاني عليه ودفعوه إلى قتله (اشتياني، ١٩٩٠، ص٦٧٩).

دام حكم هذا الشاه خمسة وعشرين سنة، اشتهر هذا الشاه بتشجيعه للحركة العمرانية داخل البلاد (مجهول، ١٩٦٠، ص٦٨)، وفي بداية حكم الشاه اعتزل ملك

الاوزبك امام قلي خان الحكم لضعف بصره ورحل من تركستان إلى مكة مارا بخراسان، فأمر الشاه باستقباله جيداً في كل مكان وقدم اليه الشاه بنفسه حتى رحل إلى مكة.

كان عهد الشاه عباس الثاني يتميز بالرخاء والاستقرار نوعا ما، فقد خفف في بداية حكمه الضرائب عن الشعب، ومنع شرب الخمر لكنه ما لبث أن عاد إليه وبسببه تدهورت بعض أمور البلاد، وكان اول ملك صفوي يحضر إلى ديوان العدالة ليتابع سير العدالة بشكل صحيح، لذا اصبحت ظاهرة في اصفهان تجمهر بعض الناس أمام أبواب القصر (الموسوي، ٢٠٠٧، ص٢٠٥).

وخلال فترة حكم الشاه عباس قررشاه جهان احتلال قندهار، فامر عباس الثاني قائد الجيوش رستم خان بالاستعداد الا انه لم ينفذ الاوامر بسبب كون الشاه صغير في السن، فاحتل شاه جهان قندهار، وعلى اثر ذلك تم قتل رستم خان واخوته، وعين بدلاً عنه حسين قلي خان قاجار وامره بجمع جنوده لاستعادة قندهار وحصد نصراً كبير فيها (اقبال، ١٩٩٠، ص٢٨٠).

كما استقبل الشاه اول سفارة روسية إلى فارس في عام ١٦٦٤، ارسلت اليه من قبل القيصر الروسي "الكييس ميكيا لوفتيس" وتتالف البعثة من سفيرين وثمانمائة من الأتباع واستقبلهم الشاه بحفاوة وتكريم، غير أنه اكتشف انهم تجار انتحلوا دور السفراء لتحاشي دفع الرسوم الكمركية مما دفع به لمعاملتهم بازدراء وطردهم من فارس.

إن ما يعيب شخصية الشاه عباس الثاني هو تعاطيه الخمر بكثرة والتي كانت سبباً في وفاته عام ١٦٦٦ فقد اهمل امور الدولة وشؤون البلاد وخاصة الجيش الذي بدأت عليه علامات الانحطاط سريعاً فيذكر الرحالة الفرنسي (جاردن) (أن عرضاً عسكرياً جرى أمام الشاه عباس قبل وفاته، قال أن القوات المستعرضة اعيدت نفسها

امام الحضور عشرا واثني عشر مرة، وقد انتبه الشاه عبـــاس لـــذلك الا أن المنيـــة عاجلته (غنام، ١٩٨٧، ص١٣-١٥).

ثالثاً: عهد الشاه سليمان ١٦٦٦-١٦٩٤:

كان للشاه عباس الثاني ولدان احدهما يدعى صفي ميرزا وعمره عشرون عاماً والاخر حمزة ميرزا ولا يتعدى عمره سوى سبع سنوات، وعندما اجتمع رجال البلاط لاختيار الشاه الجديد كانت هناك ميول نحو توليه حمزة ميرزا الحكم من اجل استغلال نفوذ الوصاية، وكان هؤلاء قد اشاعوا إن الشاه عباس الثاني كان قد سمل عيني ولده صفي ميرزا وبذلك فهو غير صالح للحكم، وهنا برز دور رئيس خصيان[*] (النابلسي، ١٩٩٠، ص٢١٧-٢١٨) صحريم الشاه وهو اغا مبارك حيث عارض تولي حمزة ميرزا الحكم لان صفي مؤهل لكي يحكم فهو صحيح وسالم وهدد الحاضرين إذا لم يوافقوا على تنصيب صفي فانه سوف يقتل حمزة ميرزا، وما لبث هؤلاء حتى أعلنوا عن تنصيب صفي ميرزا شاهاً عليهم.

[*] كان الاخصاء يتم على اشكال مختلفة، فيكون بقطع (الخصيتين) والقضيب وهو (الجب) ويكون بسل الخصيتين وهو (السل) اورضهما دون التعرض للقضيب وهو (الوجر) وكان الكثيرون يموتون من جراء ذلك وخصوصا الصغار، وكان اليهود هم معظم من يقوم بعمليات الخصاء، وتعلم بعض المسلمين الخصاء منهم، وفي العصر الحديث تجري عملية الخصاء الجراحية في المستشفيات للرقيق الذي مازال موجودا في بعض الدولة الخليج العربي حتى الان، أما استعمال الخصيان باعداد كبيرة في قصور الخلفاء والامراء على هذا النحو، فهي عادة قديمة عن العرب، فقد قيل أن الخليفة العباسي المقتدر كان لديه اربعة الاف خصي وجميع الخلفاء والعباسيين وفي الدولة العثمانية وان للخصيان دور في هذه الدول في أمور السياسة والادارة، وكان معظمهم من الاثرياء لكثرة ماينهال عليهم من الهبات والعطايا من الحاكمين والمحكومين على السواء، وبرزت هذه الحالة في الدولة الصفوية في مرحلتها الاخيرة فقط، كان هؤلاء يتواجدون في قصور الحريم لضمان عدم التعرض للنساء من قبلهم.

إلا إن هذا الشاه أصيب بعلة شديدة منذ توليه الحكم، كما اجتاح إيـــران قحـــط وجفاف وحتى الطاعون وتردت الأوضاع المعيشية بشكل كبير، وقدم منجم الـــبلاط تفسير لذلك بان الشاه تم تنصيبه في ساعة نحس لذا يجب إعادة مراسيم التتويج مـــن جديد مع بدء العام الإيراني، وبالفعل تم ذلك كما تم تغيير اسم الشاه من صفي إلـــى سليمان، وبالفعل تماثل الملك للشفاء وعادت الحياة إلى إيران من جديد (ابو مغلـــي، ١٩٨٥، ص٢٧٥) (الموسوي، ٢٠٠٧، ص٢٢٧).

لقد ساعد القدر الشاه سليمان من خلال وجود وزير قوي هو شيخ علي زنكنه، الذي اثبت قدرات إدارية فائقة، وعمل على استقرار البلاد، وان الهدوء الذي ساد في عهد الشاه سليمان هو بفضل هذا الرجل الذي كان يرى ضرورة الحفاظ على السلام مع الدولة العثمانية، وكان شيخ علي يرى أن أوربا ليســـت حليـــف حقيقـــي يمكـــن الاعتماد عليه واستدل برأيه هذا على تجربة الشاه عباس الأول الذي حشـــد الجهـــد الأوربي لمقاومة التوسع العثماني في الشرق، لكنه وجد بعض الدول الأوربية تحاول مساومة العثمانيين فاضطر لتحمل كل أعباء الحرب.

وخلال عهد الشاه سليمان راجت التجارة في إيران مع البلاد الأخرى وتطور العمران في البلاد وخصوصاً في مدينة أصفهان، إضافة إلى مجيء عدد من الرحالة المشهورين الذين ألفوا كتب عن هذه الفترة من تاريخ إيران، ومنهم جاردن الفرنسي الذي وضع أفضل وصف لأصفهان، وتافرنيه الذي قام بست رحلات إلى إيران من عهد الشاه صفي إلى عهد الشاه سليمان ويعد كتابه شرح تتويج الشاه ســـليمان مـــن الوثائق المهمة في تاريخ إيران خلال تلك الحقبة (والبـــر، ١٩٨٤، ص٩٠)(اقبـــال، ١٩٩٩، ص٦٨٤).

توفي الشاه سليمان عام ١٦٩٤ مخلفاً وراءه سبعة أولاد أكبرهم سلطان حسين ميرزا، اكتشفت عمة سليمان مريم بيكم موته وأخبرت المحيطين انها لن تواجه أيـــة

صعوبة في كسب التأييد لسلطان حسين فتم لها ذلك في ٦ آب ١٦٩٤. (Jackson & Lockhart, 1986, P.310).

رابعاً: حكم الشاه سلطان حسين (١٦٩٤-١٧٢٢):

توفي الشاه سليمان عام ١٦٩٤ في العاصمة أصفهان، وأعقبه في الحكم ابنه سلطان حسين الصفوي، ,جاء اختيار الأخير ليتولى الحكم من بعده بناءً على وصيته التي أوصاها لرجال حاشيته وبلاطه الملكي، فقد أكد لهم قائلاً: "إن كنتم تريدون العزة واستقلال البلاد، فانتخبوا ولدي عباس ميرزا شاها على البلاد، وان كنتم تريدون اليسر والرحمة وهدوء البال والاستقرار فانتخبوا ولدي حسين شاهاً لإيران" (المكصوصي، ٢٠٠٦، ص١٧-١٨).

ولد حسين ميرزا عام ١٦٦٨ وكان بطبعه هادئاً مجداً يميل منذ صغر سنه إلى التقشف، ونشأ في الحريم وفقاً للعادة التي استنها الشاه عباس الكبير، فكان بذلك يجهل شؤون الدولة، بل شؤون العالم بصفة عامة حين خلف أباه (الميرزا، د.ت، ص٤٦٤)، لذا ظل المتنفذون في الحكم من قادة العسكريين ورجال الدين يسيرون البلاد وفق مصالحهم واهوائهم بل زاد نفوذهم، كما ظهرت في عهد شاه سلطان حسين طبقة جديدة تتألف من خصيان القصر في جناح الحريم الذين راحوا يلعبون دوراً في ادارة دفة الدولة، وقد ساعدت شخصية سلطان على استشراء هذه الظاهرة على الرغم مما عرف عنه أيضاً بأنه كان في بداية حياته متديناً، فقد كان اول اجراء اتخذه هو إصدار أمر يمنع تعاطي الخمرة وكسر آنية الخمر التي وجدها في قصوره منها[*] (المهاجر، ١٩٨٩، ص٤١٢) (الموسوي، ٢٠٠٧، ص٢٦٢).

[*] كان المجلسي من ابرز رجال الدين في بلاد الشاه سلطان حسين. حيث يقال انه عند تتويج الشاه حسين رفض أن يتلقى سيف الحكم من الصوفية كما تقتضي التقاليد واستدعي المجلسي ليتولى ذلك بنفسه وبعد الاحتفال سأله الشاه، ماذا يطلب مقابل تلك الخدمة، فسأله أن يأمر بمنع شرب الخمور

ويصف عدد من المؤرخين الشاه حسين "انه من السهل الإشارة إلى أن الشاه حسين يتحلى ببعض الصفات والأخلاق ولكنه لم يكن يمتلك أية خصلة تؤهله لتولي السلطة، فقد كان رجلاً طيباً وعطوفاً وكانت طيبته تصل إلى تصديق كل ما يقال له فضلاً عن كونه لا يعاقب احد، الامر الذي اسهم في انتشار الفساد لدى بعض رعايا الدولة، ولاسيما مع غياب العقاب، ولنفوذهم داخل الدولة، وذلك بالطبع يجري على حساب رعايا الدولة المخلصين له" (البياتي، ٢٠١٠، ص١٠).

ويصف اخرون الهدوء الذي ساد في عهده هو من الهدوء الذي يسبق العاصفة، ففي سنة ١٦٩٩ شن رجال قبيلة البلوج عدة حملات على مدينة كرمان، وبعد ذلك بعامين حدثت بعض الاضطرابات في قندهار حيث كان رجال قبيلة غلزائي الافغانية قد ازدادوا عدداً وشأناً واصبحوا هم المتنفذين فيها، وحدثت سنة ١٧٠٧ ثورة في العاصمة اصفهان، نتيجة لمجاعة اجتاحت المدينة وطالب سكانها باطلاق سراح عباس ميرزا شقيق الشاه لغرض تنصيبه على العرش بدلا منه (نورس، ١٩٧٩، ص٧٤-٧٥).

كما شهد عهده الشاه حسين ارتفاع نسبة الضرائب المفروضة على الايرانيين، وشدد الجباة في استحصالها في الوقت الذي كان فيه الشاه منشغلاً بملذاته الشخصية وعدم مبالاته بشؤون الحكم. وبسبب ضعف سلطة الشاه فقد انتشر قطاع الطرق بين المدن الايرانية الرئيسية ولم يعد الاستقرار والأمن موجوداً، وبدأ الوضع يسير نحو الانحلال الكلي (Lochahrt, 1958, P.44-50) .

واللعب بالحمام والمناضلة (نوع من المصارعة العلنية)، فاصدر الشاه امرا بتنفيذ ذلك. جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى ايران في العصر الصفوي (اسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية)، ط١، بيروت، ١٩٨٩، ص٢١٢؛ عباس حسن الموسوي، المصدر السابق، ص٢٦٢

٢ـ الاحتلال الأفغاني لبلاد فارس

لم تكن أفغانستان إقليم موحد سياسياً بل كانت تتنازعها الدول القوية المحيطة بها مثل الدولة الصفوية في بلاد فارس والحكم المغولي في الهند، وتوجد في افغانستان قبيلتان رئيسيتان هي:

١- الأبدالية (الدوراني) في الاجزاء الشرقية من أفغانستان وأطلق عليهم اسم عبدلي فيما بعد.

٢- غلزائي في الاجزاء الجنوبية من افغانستان، وهم عشائر مختلطة الجنس وكانوا من أقوى عشائر قندهار.

بينما سكان المناطق الواقعة إلى الشمال من الهند فمن الأوزبك، وقلب افغانستان تسكنه القبائل المغولية الرئيسية التالية: هازار، تايماني، شهرايماك (نوار، ١٩٧١، ص٧٣-٧٤) (ابادي، ٢٠٠٧، ص٣٩-٥٠) كانت افغانستان تتبع بلاد فارس منذ أن ضمها الشاه عباس الأول عام ١٦٢٢، ومنذ ذلك التاريخ تناوب على حكمها امراء صفويون إلى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، وفي عهد الشاه سلطان حسين تسلم حكم افغانستان "كركين خان الكرجستاني" وقدم كركين إلى البلاد بعشرين الف مقاتل من الإيرانيين ونخبة من ابطال اهل بلاده كان لقدومه هيبة جعلت الرضوخ لامره حتما فلم يواجه مقاومة من الافغانين في الخضوع له (مكاريوس، ١٨٩٨، ص١٦٣).

واخذ كركين يضيق على الافغان الغلزائيين إلى الحد الذي جعل "ميرويس" احد ابرز زعماء الغلزائية، يعمل على اثارة النقمة بين رجال قبليته ضد "كركين" فقاد تمرد انتهى باسر ميرويس وارساله إلى اصفهان اسيراً، وفي اصفهان تمكن ميروبيس من كسب ود الشاه سلطان حسين حتى اصبح من المقربين لديه، وحصل على عفو منه واذان بالعودة إلى بلاده الا أن ميرويس افصح عن رغبته في الذهاب

إلى الحج فغادر اصفهان متوجها إلى الدولة العثمانية وهناك استحصل من علماءها بفتوى جواز قتال الفرس باعتبارهم مارقين عن الدين الاسلامي، ثم توجه إلى مكة وحصل من علماءها على فتوى مشابهة ثم قفل راجعاً إلى اصفهان واثناء وصول إلى اصفهان وصلت بعثة القيصر الروسي إلى بلاط الشاه (نورسن ١٩٧٩، ص٧٧)، وكان رئيس البعثة ارمينيا ادعى عند حدود بلاد فارس انه من اولاد سلاطين الارمن، فوجدت دعوته صدى طيباً لدى ميرويس الذي راح يتكلم في السر والعلن عن نية الارمن بفصل كرجستان وارمينيا عن بلاد فارس، وان هذا الامر سيتحقق على يد كركين خان، مما جعل الشك يراود الشاه ووزراءه، إذ كان كركين حديث العهد بالاسلام، لذلك امر الشاه بعزله، لكن وزراءه أشاروا عليه بارسال ميرويس إلى قندهار ليكون رقيباً عليه (البياتي، ٢٠٠٧، ص٧١). وبعد وصول ميرويس إلى قندهار قام باغتيال كركين خان واخذ يآلب الغلزائيين على الحكم الصفوي (لوريمر، ١٩٧٠، ص٩٥)، وبعد وصول نبأ مقتل كوكين، لم تكن في نية الشاه سلطان حسين محاربة ميرويس فارسل اليه مبعوثا يدعوه إلى ترك عدائه لبلاد فارس، لكن ميرويس اودع مبعوث الشاه في السجن، حينها جهز الشاه حملة عسكرية ضد قندهار بقيادة حاكم خرسان الا إنها فشلت، ثم كلف الشاه حسين خسرو خان حاكم جورجيا وابن شقيق كركين خان بقيادة حملة ضد قندهار، فسار بجيش قوامه الف مقاتل احرز النصر في بعض الحصون قبل قندهار التي حاصرها بشدة الا أن اهلها استبسلوا في الدفاع عن مدينتهم، فراح الغلزائيون يحاصرون القوات الفارسية وكبدوها خسائر قدرت بنحو اربع وعشرون الف قتيل من ضمنهم خسرو خان، ولم ينج الا سبعمائة جندي عانوا من الويلات حتى وصلوا بلاد فارس (البياتي، ٢٠٠٧، ص٧٢)، حدثت هذه المعركة في ٢٦ كانون الأول ١٧١٢ .

من اسباب هزيمة الجيش الصفوي أمام الافغان ما يلي:

١- إن معظم الجيش الذي أرسل إلى قندهار لم يكن مدرب تدريباً جديداً ما عدا الجورجيين.

٢- نقص المؤونة والاغذية اللازمة، وطول خط المواصلات من اصفهان حتى قندهار ادى إلى عدم حصول فئات واسعة من الجيش الصفوي على مستلزمات تموينية، مما اثر سلبا على طريقة قتاله ضد الافغان.

٣- افتقار الجيش الصفوي إلى وجود قادة أكفاء بين صفوفه وعدم وجود ضبط أو تنسيق عسكري بين افراده لعدم تقبل القوات الصفوية الاوامر من قائدهم الجورجي الاصل (المكصوصي، ٢٠٠٦، ص٣٧).

وفي عام ١٧١٣ ارسل الشاه حملة بقيادة محمد رستم خان ولكن الهزيمة كانت من نصيب الحملة، اصبح ميرويس يحكم قندهار حكماً مستقلاً توفي عام ١٧١٥، تسلم حكم قندهار من بعده اخوه عبد الله الذي اراد السلام مع الدولة الصفوية والعودة إلى تبعيتها، لأنه كان يخشى أن تستمر الدولة الصفوية بارسال جيوشها إلى قندهار ولرغبته في الانفراد بالسلطة، وهذا الامر يتطلب اولاً وقف الحرب ضد فارس، لذا اعد شروط الصلح مع الدولة الصفوية هي (نواري، ١٩٧١ ، ٢٧٨):

١- الغاء الجزية لفارس.

٢- عدم ارسال اية قوات ضد قندهار.

٣- أن يكون الحكم وراثياً في اسرته.

فأثار هذا الامر الافغان الذين التفوا حول محمود بين ميرويس فقام عام ١٧١٧ مع أربعين رجل من اتباعه بقتل عمه عبد الله، فاقره مجلس القبيلة على فعله وعينوه حاكماً على قندهار (ابو مغلي، ١٩٨٥، ص٢٥٨).

وفي ذات الوقت واجهت الدولة الصفوية مشاكل عديدة منها استيلاء العمانيين على البحرين، وبسبب افتقار الفرس للسفن طلبوا مساعدة البرتغال في ذلك الا إن

البرتغاليين طلبوا باجور نقل عالية الامر الذي دفع الفرس للعدول عن إرسال الحملة العسكرية (الصباغ، ١٩٩٩، ص٢٠٥)، كما انتزع عرب مسقط في سنة ١٧٢٠ جزيرة قشم وجزر أخرى، وتزايد نشاط قبيلة البلوج، واخذوا يشنون غاراتهم على إقليمي كرمان ولارا، وقامت عشائر اللزجيون بمهاجمة ولاية شيروان ونهب مركزها مدينة شمافي واندلعت الثورات في لورستان وكردستان، وقام مالك محمود سستاني حاكم نون في الشمال الشرقي في بلاد فارس باعلان استقلال المدينة عن الشاه (نورس، ١٩٧٩، ص٨٠).

كما شن الاوزبك غارت سلب ونهب على خرسان، اعلن الابداليون عام ١٧١٩ بقيادة عبد الله خان وابنه اسد الله خان استقلال مدينة هراة، وتحالفوا مع الاوزبك لغرض السيطرة على خراسان، وارسل الشاه عام ١٧٢٠ جيش فارسي مؤلف من ثلاثة الاف رجل بقيادة صفي قلي خان نحو هراة فاصطدم بالاوزبك اثناء حملته حيث هزمهم وكان جيشهم يضم (١٢) الف مقاتل، لكن اسد الله خان اصر على أن يخوض المعركة معهم، ومع إن الجيش الصفوي كان مزوداً بالمدفعية الا إن هذه المدفعية التي قامت بواجبها اول الامر لم تلبث أن اخطأت اهدافها وصبت قنابلها على فرق الخيالة الصفوية، الامر الذي اثار الفوضى والارتباك ظناً منهم أن خيانة حدثت في صفوف الجيش الامر الذي اعطى الابداليين فرصة للهجوم على الجيش الصفوي والحاق الهزيمة به (البياتي، ٢٠٠٧، ٢٧٧).

كم نجد إن الفتن والدسائس التي كثرت في بلاط السلطان وطالت اعوانه المخلصين، فقد تامروا ضد لطف علي خان وضد اخيه فتح علي خان وزير البلاط وحيكت ضد الوزير مؤامرة قذرة وزورت باسمه رسالة يشم منها نوعاً من التفاهم مع المتمردين الاكراد في اقليم كردستان الذي اندلعت فيه القلاقل، وقام الشاه سلطان حسين في النهاية بعزله من منصبه، وسمل عينيه أيضا، كما صدر أمر الى حاكم

شيراز بالقاء القبض على القائد لطف علي خان، وشعر الشاه بالندم بعد ذلك عندما تبين له براءة فتح علي خان(المكصوصي، ٢٠٠٦، ص٥٧٧).

كان محمود الافغاني يرقب الاوضاع في بلاد فارس، وشاهد انتصار الابداليين الاوزبك، وبما إن العداء كان قديم بين الغلزائية والابدالية، قرر محمود التخلص من الابداليين واعلان سيطرته على الافغان، فقد دارت معركة بالقرب من هراة كان النصر فيها لمحمود الافغاني الذي قتل اسد الله خان، ولم يكتف محمود بقتل اسد الله انما ارسل رأسه إلى الشاه سلطان حسين، فاعتبر الشاه ذلك تعبيراً عن وفاء محمود الافغاني له فارسل الشاه له هديا فاخرة وامر بتثبيته والياً للافغان ومنحه لقب حسين قولي وامعانا في خداع الشاه ارسل محمود الافغاني رسالة يعبر فيها عن ولائه وطاعته للشاه فقد اكد على أن حربه ضد اسد الله "كانت من اجل حماية الدولة الصفوية وحكومة الشاه وله شخصياً" (المكصوصي، ٢٠٠٦، ص٤٣).

أولاً: السيطرة على اصفهان:

كانت البلاد الفارسية في حالة من الفوضى والاضطراب، الامر الذي شجع الافغان بقيادة محمود الافغاني للسير داخل الاراضي الفارسية فقاموا سنة ١٧٢٠ بشن غارة على فارس، فتقدم محمود نحو كرمان وبدأ بمحاصرتها يسانده رجال زردشتين لكن لطف علي خان تصدى له بقوات تقدر بحوالي عشرين الف مقاتل فالحق به هزيمة قاسية واجبره على الانسحاب (Savory, 1980, PP.246-247).

وفي عام ١٧٢١ ساعدت الاوضاع المتدهورة في فارس محمود الافغاني لاعادة المحاولة في احتلال بلاد فارس، فاحتل كرمان لكنه فشل في احتلال يزد لم يتوقف لاحتلال المدينة، انما توجه صوب اصفهان مباشرة وفي اثناء مسيرة التقت به بعثة فارسية ارسلها الشاه حسين تعرض عليه مبلغاً كبيراً وعقد الصلح مقابل عودته

إلى قندهار، لكن محمود رفض العرض واستمر في مسيره إلى أن وصل إلى منطقة كلناباد وعسكر فيها، تبعد ثلاثة فراسخ عن اصفهان، عندئذ عقد الشاه سلطان حسين اجتماعاً ضم الوزراء والاعيان واستشارهم في الامر وكان هناك رأيان في شان الحرب الأول تزعمه محمد قلي خان وزير الحربية فقد اشار بالامتناع والتحصن داخل الاسوار ومحاربة الافغانيين بالصبر إلى أن يضجر رجالهم أو يقتل بعضهم البعض على طول المدة ثم يرحلون إلى بلادهم واكد رايه بقوله عن ضعف الافغانيين في الحصار وقوتهم في الحرب والسلاح الابيض والراي الثاني تزعمه الامير محمد بن عبد الله المشعشعي الذي راى وجوب الخروج إلى العدو ومحاربته واثار بكلامه حماس الحاضرين فاخذوا برايه واهمل راي محمد قلي خان (مكاريوس، ١٩٨٩، ص١٧٤-١٧٥) .

وخرجت القوات الصفوية لملاقاة الجيش الافغاني في السابع من آذار ١٧٢٢ والتي كانت تفوق الجيش الافغاني في العدة والعدد فقد كانت تشكيلات الجيش الصفوي تتالف من قوات الفوللر (الحرس الخاص) وكانوا مدربين ومنظمين تنظيما لاباس به وعددهم حوالي (٤٠٠) مقاتل ويشكلون وحدة عسكرية كاملة بقيادة رستم خان جورجي ومعهم (١٢٠٠٠) مقاتل خيال من العرب التابعين للامير محمد المشعشي، وكان هناك فوجان من الكرد الفيلية، كما امتلك الجيش الصفوي فوجاً من المدفعية ملاكه (٢٤) مدفعا تحت قيادة ضابط فارسي ويساعده خبير فرنسي هو فليب كلمب (المكصوصي، ٢٠٠٦، ص٥٠).

امر الشاه سلطان حسين تقسيم الجيش الصفوي إلى قسمين جعل محمد قلي خان قائداً على القسم الاول ومحمد بن عبد الله المشعشعي القسم الثاني، كما اصدر بيانا اعفى بموجبه كل من ينتمي إلى القوات الفارسية من الضرائب لمدة ستة اشهر، وفي كلناباد جرت معركة بين الصفويين والافغان في الثامن من آذار ١٧٢٢ وكان

النصر حليف الصفويين اول الامر وكاد الافغان أن ينسحبوا على اثرها من المعركة، غير أن محمد بن عبد الله والذي كان على الجناح الايمن، وبدلا من أن يقوم بحركة التفاف ومهاجمة الافغان من الخلف اكتفى بمحاصرة الاعداء وسلب معسكرهم، وهذا ما اعطى حافزا اكبر للقوات الافغانية على الثبات وتصدت للهجمات الصفوية بشجاعة وبمناورة عسكرية استطاع الافغان السيطرة على مدفعية الفرس الخالية من الحراسة، فسيطروا عليها وقتلوا من فيها واستخدموها في ضرب الجيش الصفوي، الذي فر من ساحة المعركة وهو مشتت نحو اصفهان بدون أي محاولة لجمعه ومواجهة الافغان من جديد (Browne, 1928, PP.126-127).

كان بامكان محمود الافغاني أن يلحق بالصفويين إلى اصفهان، الا انه اثر التريث، لخوفه من أن تصل نجدة لاصفهان من المدن الاخرى، وأراد أن ينتفض السكان ضد الحكم الصفوي بسبب الحصار وما يسببه لهم من نقص في المؤونة والغذاء، وبدا محمود الأفغاني بمهاجمة القرى القريبة من اصفهان واحتل فرح اباد (منتجع الشاه)، وشن حملة على مدينة جلفا الارمينة التي قاوم اهلها الافغان واستنجدوا محمد بن عبد الله المشعشعي فلم ينجدهم وتمكن الافغانيون من فتح بلدتهم ولما راى الارمن أن القتال لا يفيد سلموا للعدو على شرط أن يدفعوا غرامة حربيه وخمسين فتاة من العذارى واخذ الجزية منهم، لكن عويل اهل الفتيات الذين كانوا حريصين على اعراضهم وانتحار بعض الفتيات جعلت محمود الافغاني يآمر بردهن إلى اهاليهن (مكاريوس، ١٩٨٩، ص١٧٨).

إن اهمال محمود ورجاله توجيه ضربات مناسبة للفرس، شجعت هؤلاء على الهجوم فقد قام أحمد اغا وهو احد الخصيان في البلاد الصفوي بالاغارة على فرقة من جيشه وحطمها وطرد الافغان من بعض المواقع الامر الذي دفع محمود الافغاني بطلب الصلح ضمن الشروط التالية:

١- أن تكون قندهار وكرمان وخرسان ملكاً له ولاولاده من بعده.

٢- غرامة حربية مقدارها خمسين الف تومان أو مئة الف تومان.

٣- زواجه من أميرة فارسية (عيسى، د.ت، ص٦٠).

لكن الشاه رفض هذه المطالب تحت تأثير عدد من الزعماء، الامر الذي اثـــار غضب محمود فاخذ بجيشه ينهب القرى والمدن والجيش الصفوي عاجز عن نجدتهم، فهب اهل قرية تسمى اصفهانك واستطاعت أن تهزم الافغان وتاسر اخ وعم واثنـــين من ابناء عمومة محمود، فأراد الامير تحريرهم فاستنجد بالشـــاه ليخلصـــهم الا أن اوامر الشاه جاءت متأخرة فقد تم قتلهم جميعاً من قبل اهل القرية، فمـــا كـــان مـــن محمود الا أن امر باعدام كل اسير فارسي لديه وكانت اعدادهم بالالاف.

وبدأ الافغان بحاصر اصفهان بتدمير كل القرى والمدن الصغيرة المحيطة بها للحيلولة دون وصول المؤن إليها ثم احاط الافغان بالمدينة من جميع جهاتها وشددوا الحصار عليها، وفي هذه الاثناء غادر طهماسب ميرزا (ابن الشاه ســـلطان حســـين) اصفهان متوجها إلى قزوين في محاولة لتحشيد قوات لفك الحصار عن اصـــفهان إلا أنه فشل في محاولته بسبب ضعف الهمة لدى الفرس حتى انه كتب إلى ابيه يطلـــب منه المغادرة وكان الشاه يفكر في ذلك الا أن الفرصة لـــم تعـــد مناســـبة (نـــورس، ١٩٧٩، ص٨٦).

وبسبب حصار الافغان لأصفهان تعرض الاهالي لمجاعة مروعة فقد أكل الناس الحيوانات واوراق الشجر وجثث الموتى[*](ليمبرت، ١٩٩٢، ص٩٧)، وطالب السكان الشاه بان يسمح لهم بالخروج لمحاربة الافغان فرفض الشاه وهدد باطلاق النار إذ لم يذهبوا، وكاد الامر أن ينقلب إلى انتفاضة داخلية لولا تدخل احمد اغا

[*] مات بسبب الحصار ثمانون الف نسمة، ماتوامن المرض والجوع

الذي قاد الجموع خارج العاصمة وقاتلوا ببسالة بالرغم من قلة عددهم وكادوا أن ينتصروا لولا انسحاب الجنود العرب من المعركة الامر الذي ادى إلى فوضى داخل قوات احمد اغا الذي اضطر للانسحاب إلى اصفهان، وفيها وبخه الشاه على فعله بسبب وشاية من محمد بن عبد الله الامر الذي دفعه للانتحار وبوفاته يكون الشاه فقد اخر قائد كفوء لديه (Savory, 1980 ,P.249).

وخلال هذه الاحداث انتهزت بعض الزعامات المحلية الفرصة لاعلان استقلالها عن الحكومة الصفوية ومن هؤلاء مالك محمود السيستاني الذي استقل بحكم مدينة (تون)، واثناء حصار اصفهان زحف مالك محمود على رأس جيش كبير إلى كلناباد فارتفعت معنويات الفرس ولكن الافغان قاموا بالتفاوض مع مالك محمود وعرضوا عليه حكم مقاطعات خراسان وسجستان فعاد مالك محمود أدراجه ليفرض سيطرته على الولايات التي حصل عليها (عيسى، د.ت ،ص٦٠) (نوار، ١٩٧١، ص٢٨٥).

وفي اليوم الحادي والعشرين من تشرين الأول سنة ١٧٢٢، وبعد حصار دام سبعة أشهر، قبل مير محمود الافغاني استسلام العاصمة، وفي اليوم التالي غادر الشاه عاصمته يتبعه ثلاثمائة جندي وعدد قليل من نبلائه متجها نحو المعسكر الافغاني في فرح اباد لكي يعلن استسلامه ويسلم التاج. وصل الشاه إلى معسكر محمود الذي استقبله بتكبر وعجرفة قال له الشاه" ياولدي إن الاله الاعظم للكون لا يريدني أن احكم بعد ذلك، فانني اسلم لك الملك، فاحكم بسلام" ثم نزع الشاه العمامة المملوكية ووضعها على راس محمود الافغاني، وعندما راى محمود حسن كلام الشاه عاهده أن يعده كأبيه ويعمل على اصلاح رعيته، عندها لبس العمامة وبذلك انهى حكم الاسرة الصفوية من بلاد فارس بعد أن حكمت ما يقارب مائتي واربعة عشر عاماً (مكاريوس، ١٨٩٨، ص١٨٢) (البياتي، ٢٠٠٧، ص٨١).

هناك من يعزو سبب الغزو الافغاني وسقوط اصفهان إلى الامير محمد بن عبد الله المشعشعي قائد الجيش الصفوي، الا أن الاحداث أثبتت أن الامير محمد لم يكن العامل الاساس في انهيار الدولة وإنما جملة أسباب ادت إلى ذلك منها:

١- عدم وضع الشاه سياسة واضحة للدفاع عن دولته، وهو يرى الافغان وهم يحققون الانتصارات، فبقي متحصناً في العاصمة ولم يغادرها وعندما وصلت اخبار وصولهم إلى اصفهان قام بارسال الهدايا والتحف الثمينة محاولة لاقناع العدو بالعودة وان يحتفظ هو بمركز الحكم ومقر الامبراطورية فقط.

٢- اهمال الشاه الدفاع وعدم اهتمامه بالجيش حيث إن الافغان كان يحتلون المدن الواحدة تلو الاخرى دون مقاومة تذكر.

٣- سوء ادارته للامور العسكرية وعجزه عن اختيار قادة جيشه لأنه عمد إلى تقسيم جيشه إلى قسمين وكان كلا القائدان على خلاف وهو يعلم بذلك ومن الصعب التعاون فيما بينهما.

٤- كان الافغان قد اعتادوا على الخشونة والجلد في القتال، بخلاف الجيش الصفوي الذي كان جنوده هم من اعتادوا الترف والبطالة.

٥- ضعف الشاه وعدم قدرته على ادارة البلاد في ظل الفتن والدسائس وانقياده لاراء المنجمين وهذا ما ادركه بعد فوات الاوان عندما اعلن للناس عن نيته بالاستسلام قائلا "إن كل ذلك من خيانة الناصحين وعدم ديانة المشيرين" (الجابري، ١٩٧٣، ص٩٩).

ثانيا: الاوضاع في بلاد فارس بعد الغزو الافغاني:

بعد وصول انباء احتلال اصفهان، قام اصحاب المناصب الكبرى في الدولة وتوجوا طهماسب ميرزا –ابن الشاه– شاهاً على البلاد عام ١٧٢٢ في مدينة قزوين

وذلك بمبادرة منهم لانقاذ العرش الصفوي (عيسى، د.ت، ص٦٠) (الصباغ، ١٩٩٩، ص٢٠٥).

في ذات الوقت كان محمود الافغاني قد دخل اصفهان وحاول كسب ود الاهالي، فقد عمل على ابقاء الموظفين الفرس في مواقعهم الإدارية ووضع عليهم بعض الموظفين الأفغان لمراقبتهم ليتعلموا منهم أساليب الادارة، وحث التجار وعامة الشعب على ادخال المواد الغذائية إلى المدينة (البياتي، ٢٠٠٧، ص٨١).

حاول الشاه محمود الافغاني اشعار الايرانيين بان حكمه متساهل معهم فاعلن العفو عن سكان اصفهان وافراد الجيش الصفوي الذي قاتل جيشه وكان محمود يهدف من وراء تحسين الاوضاع الاجتماعية االاقتصادية داخل المدينة اصفهان كسب سكانها ومنعهم من التحول إلى عناصر معادية، لكي يتوفر به الامن فيها فتكون قاعدة باتجاه اخضاع المدن الايرانية الاخرى (المكصوصي، ٢٠٠٦، ص٦٣).

كما قام بقتل كل من خان الشاه سلطان حسين وتجسسوا لصالح الافغان فقتل عدداً منهم واقصى اخرين، حتى محمد بن عبد الله المشعشعي الذي سلم من القتل لأنه على المذهب السني جرده من رتبته وقلل من أهميته واستولى على املاكه، إذ كان يعتقد بان هؤلاء سيخونونه مستقبلا. وعامل الاوربيون معاملة حسنة فاطلق حرية الاديان وساعد التجار الاجانب على بناء المعامل فكسب بذلك تعلقهم به(نوار، ١٩٧١، ص٢٨٦) (مكاريوس، ١٨٩٨، ص١٨٤).

كانت تواجه محمود مشاكل عديدة في بلاد فارس كان اهمها التخلص من طهماسب فأعد حملة قادها "امان الله خان" توجهت إلى قزوين تحركت الحملة في ١٣ تشرين الثاني ١٧٢٢ واحتلت في طريقها مدن كاشان وقم وعند وصولها إلى قزوين احتلتها بعد أن لحقت هزيمة بجيش طهماسب لكن الاخير فر إلى تبريز حيث اقام بلاطه هناك (نورس، ١٩٧٩، ص٨٩).

كان الشاه محمود يدرك بان حملته ضد طهماسب وفرض السيطرة على بـــلاد فارس تتطلب قوة اضافية كان عليه جلبها من قندهار، بسبب رفض الفرس الانظمام إلى جيش يقوده الافغان لذلك ارسل عددا من اعوانه ومعهم أموال لجمع جيش كبير من هناك، ولكن حاكم سيســتان واتباعــه اعترضــوهم ونهبــوا الامــوال التــي بحوزتهم(البياتي، ٢٠٠٧، ص١٨).

اضافة إلى ذلك فان عدداً من المدن الايرانية بدأت تنتفض كان ابرزها انتفاضة قزوين التي حدثت بسبب قسوة قوات "امان الله خان" فقام السكان بطرد الحامية مــن مدينتهم، كان رد فعل محمود قاسيا، إذ خشي أن تمتد هذه الظاهرة إلى اصفهان لذلك امر في ٢٥ كانون الأول ١٧٢٣ بذبح (٣٠٠) من كبار قادة الفرس وهم من اســرى الجيش الصفوي، كما قام بقتل ابنائهم وجميع من كان في خدمة الشاه حسين، فبلــغ عدد من ذبحهم نحو ثلاثة الاف رجل، ومن بقي على قيد الحياة فروا من بيوتهم إلى خارج اصفهان حتى اصبح امراً عادياً أن تشاهد الافغاني الواحد يقــود الخمســة أو اربعة من الفرس ليعدمهم (مكاريوس، ١٨٩٨، ص١٨٥).

امر محمود بجمع افراد الاسرة المالكة الصفوية في شباط ١٧٢٥ ليقتلهم بعــد أن سمع بان احد ابناء الشاه حسين قد هرب من اصفهان ولم يسلم من القتل الا الشاه حسين وطفلان صغيران (Lockhart,1958, P.208) (Savory, 1980, P.250)، استمرت المذابح ما يقارب اسبوعين، كما فرض ضرائب جديدة علــى الاراضــي، وامتدت يد جنده إلى المحلات التجارية نهباً وسلباً بما في ذلك الوكالات الانكليزيــة والوكالات الهولندية.

هذا بعض ما واجه محمود من مصاعب داخل بلاد فارس والتي انهكت قــواه العقلية فظهرت عليه علامات الاضطراب العقلي انتهى به إلى الجنون فارتكب اموراً

نفرت منه أتباعه الافغان، وفي نهاية الامر قتله ابن عمه اشرف في اصفهان انتقاماً منه لقتله والدهِ عبد الله وخلفه على عرش بلاد فارس (اقبال، ١٩٩٠، ص٦٩١).

ثالثا: الأطماع الخارجية في الدولة الصفوية (روسيا والدولة العثمانية):

عند قيام الأفغان بغزو بلاد فارس كانت روسيا تراقب الأوضاع جيداً ولما كان لدى بطرس الكبير (١٦٨٢-١٧٢٥) رغبة في السيطرة على بحر قزوين ومن ثم طريق الحرير الايراني، فان الاسباب قد تهيأت لذلك عندما أرسل مبعوث إلى الدولة الصفوية يشكو للشاه ما حل بالتجار الروس من سلب ونهب في شمال ايران، وعند وصول المبعوث إلى بلاط فارس وجد أن الافغان يسيطرون على الحكم هناك فشكى ذلك إلى محمود الافغاني الذي اخبره بانه لا يتحمل مسؤولية حماية التجار الروس وهذا الامر من مسؤولية القيصر، وعند وصول رد محمود إلى القيصر بدأ بحملته عن طريق نهر الفولغا واستولى على دربند ثم اتجه إلى مدينة شماخي للاستيلاء عليها وبينما هو في طريقه وصل مبعوث عثماني يبلغ القيصر أن شماخي اصبحت تحت السيطرة العثمانية، ولم يكن القيصر راغباً في دخول حرب مع العثمانيين فاثر التوقف عند دربند تاركا حامية كبيرة فيها (البياتي، ٢٠٠٧، ص١٩) (نوار، ١٩٧١، ص٢٩١).

وعلى اثر قيام الافغان بالهجوم على مدينة رشت استنجد حاكمها بالقيصر الروسي الذي تحرك لنجدتها عام ١٧٢٣ بعد أن اعلن حاكمها انه على استعداد أن يسلم المدينة لروسيا وبعدها سيطرة روسيا على مناطق اخرى منها باكو كما عقدت روسيا اتفاقاً مع طهماسب ميرزا عام ١٧٢٣ تضمن فيه مساعدتها له في حربه ضد الافغان مقابل أن يتنازل للروس عن مدن استراباد ومازندران وكيلان، الا أن طهماسب رفض مقابلة المبعوث الروسي ورده إلى بلاده، الامر الذي جعل

الامبراطور يعود إلى سياسة التوسع السابقة في بلاد فارس (الصباغ، ١٩٩٩، ص٢٠٨).

أما الدولة العثمانية فانها كانت قد اعطت الاوامر إلى ولاتها المتاخمين للدولة الصفوية بالاستعداد للهجوم على بلاد فارس فقامت الدولة العثمانية بالاستيلاء على مناطق الاطراف (ايروان، تبريز، كنجة، تفليس) ثم اصدرت اوامرها لحسن باشا بالتوجه إلى كرمنشاه واحتلالها، فسقطت بيده دون مقاومة ومن ثم اراد التوجه إلى همدان لاحتلالها إلى أن المنية وافته، فأكمل ابنه احمد باشا الحملة في اجتياح المناطق التي يحكمها الصفويون (هريدي، ٢٠٠٨، ٢٩٧).

جعلت تلك الامور الحرب بين روسيا والدولة العثمانية امراً وشيكاً لكون المناطق التي يطمع بها الفريقان واحدة، لولا تدخل السفير الفرنسي في اسطنبول دي بوناك واستعماله الاساليب الدبلوماسية ليقرب وجهات النظر فتمكن الطرفان من الوصول لعقد معاهدة عام ١٧٢٤ نصت على الامور التالية (أولسن، ١٩٨٣، ص١٠٦):

١- تحصل روسيا على سواحل بحر قزوين (الخزر) وكيلن ومازندان إلى ما هو شمال المجرى الجنوبي لنهر اراس.
٢- تحصل الدولة العثمانية على الولايات الغربية الفارسية.
٣- إذا اعترف طهماسب بهذه المعاهدة اعترف به شاهاً على فارس.
٤- يتحالف الروس والعثمانيون ضد اية محاولة يقوم بها طهماسب لاسترداد ما يسيطر عليه الطرفان بمقتضى المعاهدة.

فأخذ العثمانيون بتنفيذ بنود المعاهدة واحتلت قواتهم خلال الأشهر التالية من عام ١٧٢٤، العديد من المناطق والأقاليم الفارسية.

فأحتل العثمانيون مدن خوي، همدان واحتلوا عدد من المدن الصغيرة الاخرى، وفي الشمال الغربي من بلاد فارس تم احتلال مدينة روان، وكان هدف العثمانيون الوصول إلى تبريز باعتبارها اقوى المدن الفارسية غير إن عملية احتلالها اول الامر فشلت الا أن العثمانيون لم يعدلوا عن غايتهم فاحتلوا المدينة بعد قتال استمر اربعة ايام تكبد فيه الطرفان خسائر كبيرة واستمرت القوات العثمانية باحتلال المدن الفارسية إلى أن وصلت إلى خط الحدود الذي نصت عليه المعاهدة (البياتي، ٢٠٠٧، ص٢٤-٢٦).

رابعاً: بلاد فارس تحت حكم اشرف الافغاني:

استلم اشرف حكم بلاد فارس عام ١٧٢٥ بعد أن قتل محمود الافغاني، وكان اشرف ذو خبرة سياسية اظهرها منذ تسلمه الحكم، فقد أخرج الشاه حسين من السجن وعرض عليه الملك الا أن الشاه السابق رفض ذلك وتزوج اشرف ابنته، ثم اخذ يسعى للقاء الشاه طهماسب بغية قتله، الا أن سره انكشف، وولى الشاه طهماسب هارباً إلى سمنان، حيث التقى فيها مع "فتح علي خان قاجار" واتفق معه على محاربة الافغان، وفي ذروة استعدادهما لاجل هذه الغاية باغتهما اشرف في دامغان (الصباغ، ١٩٩٩، ص٢١٠).

من جهة اخرى رفض العثمانيون الاعتراف رسمياً بالحكم الافغاني واشترطوا تسليم الشاه سلطان حسين لهم وانتابت اشرف هواجس من بقاء الشاه حياً فامر بقتله وارسل راسه إلى القائد العثماني احمد باشا الذي كان موجوداً في همدان ثم اعيد الراس ليدفن مع الجسد ويشيع في اصفهان (الموسوي، ٢٠٠٧، ص٢٨١).

واجه اشرف مشاكل التوسع العثماني في بلاد فارس، فبعث مبعوثا إلى السلطان العثماني محتجا على توقيع دولته معاهدة مع دولة مسيحية هي روسيا

القيصرية عل حساب دولة مسلمة هي فارس بقصد تقسيمها، وطالب اشرف بعض علماء الدين الأفغان بفتوى تخص الأقاليم التي استولى عليها العثمانيون من فارس فأفتوا بلزوم ترك هذه الأقاليم والأراضي التي احتلها العثمانيون إلى عهدة الأفغان لأنها تدخل ضمن ممتلكات الأفغان وسيطرتهم (المكصوصي، ٢٠٠٦، ص١٠٩).

لكن السلطان العثماني أمر بإخراج الوفد الأفغاني من اسطنبول، وشدد على استمرار الاجتياح العثماني لفارس، بدأت بعد مرحلة من المساجلات الدينية التي انتهت بإشعال الحرب بين الطرفين الأفغان بقيادة اشرف والعثمانيين بقيادة أحمد باشا والي بغداد التقى الجيشان في العشرين من تشرين الثاني عام ١٧٢٦ قبل أن يصل العثمانيون إلى أصفهان، مني فيها الجيش العثماني بهزيمة نكراء، بعد أن انسحبت القوات الكردية منها (بعد دعاية قام بها اشرف من خلال توزيع منشورات تتضمن استنكار القتال بين المذهب الواحد) ورجعت القوات العثمانية إلى كرمنشاه الا أن السلطان العثماني امرهم باعادة الكره مرة اخرى فكان الجيش العثماني متخلخل خاصة بعد أن اتصل اشرف باحمد باشا، ورد له كافة الاسرى والغنائم التي خسرها في الحملة السابقة، ثم اقترح عليه صلح لانهاء الحرب بين الطرفين فتم توقيع المعاهدة عام ١٧٢٧ نصت على مايلي (أولسن، ١٩٨٣، ص١١٣-١١٦):

١- يعترف المير اشرف بتبعيته للدولة العثمانية.
٢- تدخل الاحواز في اطار حكم الدولة العثمانية مباشرة.
٣- تعترف السلطنة باشرف حاكم رسميا على بلاد فارس، وتكون الخطبة والسكة باسم السلطان اولا ثم باسم اشرف ثانيا.
٤- تكون كل من (كرمنشاه، لورستان، همدان، نهاوند، مراغة، تبريز، خوى، زنجان، كنجه، قره باغ، تفليس، نخجوان، شيروان) تحت تصرف السلطنة مباشرة.

٥- يتعهد الطرفان بعدم إيواء الفارين من كلا الجانبين.

٦- يتم تبادل السفراء بين الطرفين لتمتين عرى الصداقة.

٧- تعمل السلطنة على تسهيل مرور الحجاج الفرس داخل أراضيها.

٨- يتعهد الطرفان في عدم التدخل في شؤون الممتلكات الموجودة لدى كل منهما.

٩- تكون هذه المعاهدة اساسا لصلح بين الطرفين، وتعتبر نافذة المفعول منذ توقيعها (نورس، ١٩٧٩، ص١٣٣) (الصباغ، ١٩٩٩، ص٢١١).

وبعد أن امن اشرف الجبهة الغربية عن طريق عقد هذا الاتفاق، لذا فقد كان عليه أن يواجه القوى الاخرى المتعددة، وكان ابرزها العدو المباشر وهو طهماسب الصفوي.

٣ـ نهاية الغزو الافغاني وظهور نادر شاه ١٧٢٦ـ ١٧٣٦

في الوقت الذي كانت فيه بلاد فارس تعاني من فوضى سياسية، بسبب الاحتلال الافغاني لاصفهان، والاحتلال الروسي للاجزاء الشمالية، والسيطرة العثمانية على المناطق الغربية، اخذت قوة نادر خان[*] (البياتي، ٢٠٠٩، ص١)، تتنامى وتزداد شأنا ونفوذ، فقد ذاعت شهرته في خراسان، ولاسيما بعد المعارك التي خاضها مع مالك محمود السيستاني حاكم خراسان، ولحاجة الامير طهماسب ميرزا، لرجل شجاع كفوء في القتال ارسل عام ١٧٢٦ احد اتباعه إلى نادر قولي خان من اجل حثه

[*]ولد نادر قولي خان في عام ١٦٨٨، بمنطقة كلات التابعة لابيورد بخراسان وكان ذا نسب متواضع فكان والده يعمل راعيا في الصيف ويصنع القبعات شتاءا، اسر مع والدته من قبل الاوزبك، وبعد اربع سنوات تمكن من الهرب ليلتحق بقوات حاكم ابيورد، ولشجاعته عين قائدا لمجموعة من الفرسان ولكن بسبب الخلافات هرب نحو الجبال، والتف حوله مجموعة من اللصوص وقطاع الطرق وكون فرقة منهم لاعتراض القوافل التجارية وسلبها، ذاعت شهرته في خراسان.

للالتحاق بقواته ووافق هذا الطلب ارتياحا لدى نادر خان لانه كان بحاجة إلى شخصية شرعية ليصل من خلالها إلى طموحاته، فاجتمع لدى طهماسب كلا من فتح علي خان قاجار ونادر قولي خان افشار، لاسترجاع مشهد من الافغان ولكن هذان القائدان لم يتفقان لرغبة كل منهما في تحقيق النصر لصالحه مما ادى إلى هزيمتها، امام القوات الافغانية بقيادة مالك محمود السيستاني وبعد ذلك قام نادر خان بقتل فتح الله خان قرب مشهد، وصار قائد لكل الجيش وفتح مشهد عام ١٧٢٧ (ابو مغلي، ١٩٨٥، ص٢٦٢).

وحين وصلت انباء فتح مشهد إلى مسامع طهماسب ميرزا منح نادر اسمه بلقب "طهماسب قولي خان" تشريفا له وفي العام التالي التقى الشاه بنادر خان في مشهد، وسار سوية إلى هراة، والحقا بالحاكم الافغاني الله يار خان هزيمة منكرة دخلا بعدها المدينة لتعود للحكم الصفوي، ومن هراة سار نادر خان إلى اصفهان، وفي اثناء ذلك كان السلطان اشرف الافغاني قد استولى على يزد وكرمان (ليكهارت، ٢٠٠٤، ص٢٤٤)، وتوجه إلى خراسان ولكن نادر خان تصدى له على شاطئ نهر (مهما ندوست) بالقرب من دامغان وهزمه عام ١٧٣٠ ففر اشرف إلى طهران وحاول جمع شتات جيشه ولكن نادر هزمه ثانية بالقرب من ورامين ففر اشرف إلى اصفهان وانزل غضبه بكبار القزلباش واعيان الصفويين فقتل منهم نحو ثلاثة الاف، ووصل نادر خان بجيوشه إلى اصفهان وحدثت معركة في سهل (مورتشه خورت) انتصر فيها نارد خان ودخل اصفهان بعد ثلاثة ايام فنهزم الافغان بسرعة كبيرة إلى فارس واشترك في حرب مورتشه خورت عدد من الجنود العثمانيين بمدفعيتهم كانوا أتو لعون اشرف، فكلما انتصر نادر خان تلطف بالاسرى العثمانيين واعادهم إلى اوطانهم (اقبال، ١٩٩٠، ص٦٩٩)، وبعد انكسار اشرف في اصفهان رحل إلى شيراز، فتعقبه نادر خان والحق به هزيمة اخرى، ففر بجنده الباقين إلى قندهار، وفي

منطقة بلوجستان هاجم "خان البلوج" اشرف وقتله ثم ارسل راسه إلى اصفهان تقربا من الشاه الصفوي، وبموت اشرف ننهي بلاد فارس حقبة الغزو الافغاني الـذي دام مايقارب السبع سنوات (الصباغ، ١٩٩٩، ص٢١٤).

ارسل الشاه طهماسب الثاني بعد تحرير اصفهان مبعوثا إلى الدولة العثمانيـة عام ١٧٢٩ وقد وصل المبعوث إلى البلاط العثماني عام ١٧٣٠ الذي طالب الدولـة العثمانية باعادة جميع الاراضي التي استولى عليها الباب العالي بموجب معاهـدتي ١٧٢٤ و١٧٢٧ الا أن الدولة العثمانية رفضت الطلب، فبدأ نادر خان حملته لاستعادة الاراضي التي استولى عليها الباب العالي، وكان نادر خان يسـيطر علـى المـدن الواحدة تلو الاخرى فسقطت همدان وتبعتها اردلان وكرمنشاه، بعد ذلك اخـذ نـادر خان يعد العدة لاحتلال اذربيجان فدخل تبريز بسهولة بسبب العصيان داخل الجـيش العثماني (أولسن، ١٩٨٣، ص١١٧-١١٨).

كما قام باحتلال اردبيل التي انسحبت القوات العثمانية منها، وعلى اثر الهزائم التي منيّ بها العثمانيون، طلبوا الهدنة من نادر خان، وقد وافق نادر خان على ذلـك بسبب وصول اخبار تفيد يتحرك الابداليين في هراة ومحاصرتهم مشهد بقي نادر في مشهد التي رفع عنها الحصار قبل وصوله اليها بأربعة اشهر ثم انطلق إلى هراة إلى أن انزل هزيمة بالابداليين بقيادة ذو الفقار (عيسى، د.ت، ص٦٣).

وبينما كان نادر خان يحاصر هراة، نقض العثمانيون الهدنة مع فارس وتهيـؤ لحملة اخرى، التي اعادت احتلال كرمنشاه واردلان، وبناء على مشـاورة ضـباط الجيش خرج طهماسب الثاني لملاقاة العثمانيين وفشل طهماسب في رد العثمـانيين فطلب منهم الصلح ووافق العثمانيون على ذلك بسـبب سـوء الاوضـاع الداخليـة واستغرقت المفاوضات الاشهر الاخيرة من عام ١٧٣١ انتهت بتوقيـع صـلح فـي العاشر من كانون الثاني عام ١٧٣٢ حضر الشاه توقيعه (بيات، ٢٠٠٧، ص٣٥٥).

سميت المعاهدة بمعاهدة "أحمد باشا": تقرر بموجبها مايأتي:

١- يعتبر نهراراس ودرتنك وغيرها من الحدود القديمة اساسا للحدود بين الدولتين.

٢- تكون كنجة، تفليس نخجوان شماخي، داغستان، كارنيل، للدولة العثمانية.

٣- تكون تبريز، اردلان، كرمنشاه، همدان، الاحواز، للدولة الصفوية.

٤- تتعهد الدولة العثمانية بمساندة الصفويين في اخراج الروس من مدينة دربند وكيلان.

٥- تجيز الدولة العثمانية للفرس زيارة العتبات المقدسة في العراق.

٦- يتعهد الجانبان بارسال سفراء مقيمين في كل من اسطنبول واصفهان (ليكهارت، ٢٠٠٤، ص٥٣) (الصباغ، ١٩٩٩، ص٢١٥).

وعندما علم نادر خان بالمعاهدة اخذ يشنع عقدها ويعيب الشاه طهماسب وخصوصا إنها أهملت قضية الاسرى، واخذ يرسل إلى الولاة يخبرهم بالغاء المعاهدة، كما ارسل صفي قلي خان إلى اسطنبول ليبلغ الحكومة العثمانية بان امامها امرين أما أن تعيد الاراضي الفارسية التي استولت عليها، واما أن تعد نفسها للحرب، واستغل نادر خان حادثة سكر طهماسب وقيامه ببعض الحركات بسبب سكره، فقال للحضارين "لايليق بمثل هذا الإنسان أن يكون ملكا"، فخلعه عن العرش عام ١٧٣٣ وعين ابنه الرضيع مكانه باسم (عباس الثالث) ثم ارسل الشاه المخلوع وابنه إلى مشهد ليكون تحت نظر رضا قلي ميرزا ابن نادر شاه، بما يشبه الاقامة الجبرية (اقبال، ١٩٩١، ص٧٠٠-٧٠١).

ثم خاض نادر خان حروب ضد العثمانيين انتصر على قواتهم التي كانت بقيادة طوبال عثمان باشا الذي قتل فيها، وعلى اثر ذلك اصبح الطرفان مستعدان

لتوقيع صلح بسبب الظروف الداخلية لكل منها جاء في الاتفاق (ارسلان، ٢٠٠١، ص٢٤٦).

١- تكون الحدود بين الدولتين كما اقرتها معاهدة زهاب ١٦٣٩.

٢- يتعهد الطرفان برد الاسرى والاسلحة التي استحوذ عليها كل فريق من الاخر.

٣- يتعهد العثمانييون بالسماح للفرس بزيارة العتبات المقدسة في العراق.

وعند عرض الاتفاقية على السلطان العثماني رفضها لانها مناسبة للفرس اكثر مما للعثمانيين، وواصل نادر خان زحفه من اجل اعادة الاراضي الفارسية في نفس الوقت عقد اتفاقية رشت مع الروس التي سلمت روسيا بموجب جميع المدن الواقعة إلى الجنوب من نهر كورا، كما اشترطت تسليم الروس مدن درنبد وباكو للفرس.

واخذ نارد خان يحصد النصر تلو الاخر، وفي عام ١٧٣٦ اجتمع نادر خان بجمع من العلماء والوجهاء، ليتباحثوا امر العرش، حيث لم يعد طهماسب ولا ابنه[*] (Jackson & Lackhart, 1986, P.328) يصلحان للحكم فقرر المجتمعون منح التاج لنادر الافشاري، فاشترط قبوله بقبول خمسة شروط هي:

١- ان يتخلص الفرس من تعصبهم ضد اهل السنة، وان يقبل اهل السنة المذهب الجعفري مذهباً إسلامياً خامساً مع المذاهب الاخرى.

٢- على الفرس عند زيارتهم لمكة المكرمة أن يتخذوا لأنفسهم ناحية خاصة بهم، حيث يستطيعون ممارسة شعائرهم بحرية.

٣- يجب تعين في كل عام امير للحاج الإيراني.

٤- مبادلة الاسرى بين الدولتين.

[*] قام نادر شاه بسجنهما ثم في عام ١٧٤٠ اعدم طهمباسب الثاني وعباس الثالث مع ابن اخر لطهماسب وهو اسماعيل.

٥- تعيين سفريين في الدولتين ليقوما بحل المشاكل العالقة (ابـــو مغلـــي، ١٩٨٥، ص٢٦٥) (ليكهارت، ٢٠٠٤، ص٩٤) وتم بعد ذلك تتويج نادر خان ليتقلـــب بـــ(نادر شاه) عام ١٧٣٦ [*] (الاعظمي، ١٩٢٧، ص٨٠)

اسباب سقوط الدولة الصفوية:

هناك عدة اسباب وعوامل ساعدت في نهاية الدولة الصفوية يمكن اجمالها فيما ياتي:

١- سياسة الشاه عباس الأول وما حصل من حروب داخلية، فقـــد ابعـــد العنصـــر التركماني الذي يمثل قوة القزلباش العسكرية وظهرت عناصر من اقوام اخرى كالطاجيك والجورجيين والارمن، لاتحمل في داخلها اية ميول صوفية أو بقايا من ذلك الولاء المطلق للشاه والعرش الصفوي، لقد نهضت القـــوة العســـكرية القزلباشية على الحركة الصوفية التي رفعت الشاه إلى مقام المرشد العام، حيث نرى الجنود يستبسلون في القتال بشكل جنوني، لكن عندما تخلت الدولة عـــن القزلباش تخلى القزلباش عنها، لقد كان الفضل للقزلباش في حماية دولة شيعية فتية من هجوم السنة الاوزبك والعثمانيين.

٢- ضعف الشاهات الذين تسلموا السلطة بعد الشاه عباس الكبير ومثال ذلك الشـــاه سلطان حسين الذي كان يفتقر إلى كل مقومات الحكم، فقد كان يقضي وقته في الصيد واللهو وجناح الحريم.

٣- غياب التحديات الخارجية واستقرار الاوضاع على الحدود وغياب ملوك اقوياء ونفوذ شخصيات وصولية إلى المؤسسة العسكرية دمر قدرة البلاد الدفاعية إلى حد كبير.

---

[*] استمر حكم نادر شاه مؤسس الدولة الافشارية احد عشرة سنة، كانت مليئة بالمعارك والانتصارات التي وطدت للفرس كيانهم امام اعدائهم في الشرق والمغرب.

٤- بقاء المؤسسة العسكرية عقوداً من الزمن دون تجارب قتالية ولم يغادر الجيش الصفوي ثكناته مدة طويلة الامر الذي ادى إلى اهمال هذه المؤسسة المهمة، وقد ظهر ضعف الجيش الصفوي بشكل فاضح في عجزه التام في اخماد القلاقل والاضطرابات المحدودة الامر الذي حفز الافغان على الهجوم (Lockart, 1958, PP.22-44).

٥- التمزق والتنافر والمؤامرات بين المسؤولين الحكوميين كان لها دور كبير في نهاية الدولة الصفوية.

٦- كان الحكم في الولايات حكما لامركزيا حيث الولايات تدار من قبل حكام يتمتعون بصلاحيات ولهم جيوش محلية وفي حالات الحروب المهمة كان من السهل تشكيل جيش موحد وقوي يحسب له الف حسبا، واخذ هذا النظام بالزوال في عهد الشاه عباس الكبير، وبالرغم من نجاحه في تشكيل قوة عسكرية ضاربة لكنه وجه ضربات مميتة إلى المؤسسة القزلباشية التي ظلت تتاكل من الداخل بسبب نفوذ عناصر غريبة، لبعضها جذور ارمينة وقد أضعف ذلك من قدراتها القتالية، امام حكام الولايات فقد تحولوا إلى مجرد جباة مما أخمد حماس القادة في نجدة العاصمة عند وقوع الخطر.

٧- انحطاط المجتمع الايراني وتراجع القيم الدينية والاخلاقية، فقد انتشر الفساد في جسم المجتمع بسبب الممارسات اللاخلاقية والانغماس في الملذات المحرمة، وقد تسبب ذلك في تمزيق المجتمع وفقدان شعوره بالاستقرار.

٨- تدخل الحريم في شؤون الحكم حيث اصبح البلاط الصفوي مسرحا للنساء اللواتي طالما تحكمنّ في امور البلاد، وكانت بوادر هذه الظاهرة منذ حكم الشاه عباس الكبير الذي تزوج من نساء شركسيات اثرن مستقبلا في ادارة امور الدولة (موقع الموسوعة الحرة، ص١٦٤).

٩- افلاس الخزينة بسبب النفقات الباهضة في امور شكلية أو ترفيهية تافهة إلى جانب اهمال الانفاق على مؤسسات حيوية كالجيش، فقد اهمل الجيش واصبح الجنود لايتقاضون من مرتباتهم الا النزر القليل فعندما يتم صرف ميزانية الجيش فإنها لاتخرج من البلاط الاوهي منهوبة بحيث لايبقى منها سوى اقل من السدس بكثير، مثل هذه الحالة تقصم ظهر الجيش وتجعله عاجزا عن فعل شيء حتى في احرج الظروف.

١٠-عدم كفاءة القوات المسلحة فقد كان القزلباش يتمتعون بسمعة كبيرة اثبتوها خلال حروبهم مع الاوزبك والعثمانيين فمبجرد وصول انباء بتحرك القزلباش فهذا الامر كفيل ببث الرعب في قلوب اعدائهم ولكن خلال الصراع مع الافغان لم تقم القوات المسلحة باية هجمات ذات اهمية فقد كانت الروح الانهزامية مسيطرة على افراد الجيش خلال مواجهة الغزو الافغاني.

١١-تحويل الاراضي من اراضي مملوكة إلى اراضي التاج، فلم يجدوا ضرورة في بقاء الاقاليم بيد الحكام من القزلباش وذلك لانهم لم يزودوا الخزينة الملكية بالكثير من الاموال، وتعاد هذه الاراضي إلى القزلباش فقط في حالات الحرب (Savory, 1980, 228).

الخاتمة

في ختام هذا البحث نستنتج ما يأتي:

١- كان سقوط الدولة الصفوية وانهيارها نهاية لعهد اتسم بالدموية والعنف.

٢- على الرغم من بعض الانجازات العمرانية والثقافية والانتصارات العسكرية إلا إن سياسة الحكام وخصوصاً الشاه عباس الكبير بذرت البذور الأولى لنهاية الدولة.

٣- كانت الدولة الصفوية تعاني من أعباء، والأمر الذي زادها سوءاً هو اعتلاء ملوكها المتأخرين الضعفاء العرش والذي كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير.

٤- الاطماع الخارجية المحيطة بالدولة الصفوية مثل الدولة العثمانية وروسيا سارعت في نهايتها.

٥- كان سقوط الدولة الصفوية غريباً ومثيراً للجدل مثلما كان قيامها ولا يزال يحتل حيزاً كبيراً لدى الباحثين.

المصادر

أولاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

١- احمد كاظم محسن بندر البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم الافشاري ١٧٣٦-١٧٤٧، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦.

٢- علي حسن علي زبيد المكصوصي، تطورات ايران الداخلية في ظل الاحتلال الافغاني ١٧٢٢-١٧٢٩، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٦.

٣- محمد هليل الجابري، امارة المشعشعين، رسالة ماجستير كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٣.

ثانياً: الكتب العربية والمعربة:

١- احمد كاظم محسن البياتي، العمليات العسكرية لنادر شاه قندهار – الهند- تركستان ١٧٣٧-١٧٤٠، بغداد، ٢٠٠٩.

٢- بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠.

٣- جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى ايران في العصر الصفوي اسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية، ط١، بيروت، ١٩٨٩.

٤- جون غوردن لوريمر، دليل الخليج (القسم التاريخي)، ج١، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، ١٩٧٠.

٥- جون ليمبرت، ايران حرب مع التاريخ، ترجمة حسين عبد الزهرة، البصرة، ١٩٩٢.

٦- دائرة المعارف الاسلامية، مادة الحسين ميرزا، المجلد الرابع عشر، د.ت.

٧- دونالد ولبر، ايران وماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٨٤.

٨- روبرت دبليو اولسن، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية ١٧١٨-١٧٤٣، ترجمة عبد الرحمن بن الحاج امين بك الجليلي، ط١، الرياض، ١٩٨٣.

٩- شاكر النابلسي، عصر التكايا والرعايا وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني (١٥١٦- ١٩١٨)، ط١، بيروت، ١٩٩٩.

١٠- شاهين مكاريوس، تاريخ ايران، مصر، ١٨٩٨.

١١- شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن السماحي سويدان، بيروت، ٢٠٠١.

١٢- صالح حسن عيسى، افغانستان تحت المجهر تاريخ افغانستان السياسي ١٥٠٠- ١٧٣٦، بغداد، د.ت.

١٣- صلاح احمد هريدي، دراسات في تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨.

١٤- عباس اسماعيل الصباغ، تاريخ العلاقات العثمانية-الايرانية (الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين)، ط١، لبنان، ١٩٩٩.

١٥- عباس اقبال اشتياني وحسن بيرينا، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥هـ/٨٢م- ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ترجمة محمد علاء الدين منصور، القاهرة، ١٩٩٠.

١٦- عباس حسن الموسوي (كمال السيد)، نشوء سقوط الدولة الصفوية (دراسة تحليلية)، ط٢، قم، ٢٠٠٧.

١٧- عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، الجزء الثاني، ط١، بيروت، ١٩٩١.

١٨- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، بيروت، ١٩٧١.

١٩- عبد الامير الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، ج٢، بغداد، ٢٠٠٥.

٢٠- علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني- دراسة في العلاقات السياسية (١٧٠٠- ١٨٠٠)، بغداد، ١٩٧٩.

٢١- علي رضا ابادي،افغانستان في التاريخ المعاصر، ترجمة احمد محمد النادي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧.

٢٢- علي ظريف الاعظمي، تاريخ الدول الفارسية في العراق، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٧.

٢٣- فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني- اواسط القرن التاسع عشر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.

٢٤- فيليب حتي، خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الادنى، المجلد الثاني، ط١، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٥.

٢٥- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الثامنة، بيروت، ١٩٧٩.

٢٦- لورنس ليكهارت، نادر شاه، ترجمة خسرو الجاف، بغداد، ٢٠٠٤.

٢٧- محمد وصفي ابو مغلي، ايران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٥.

٢٨- مؤلف مجهول، موجز التاريخ الفارسي مع مقدمة في الاموال الاجتماعيـــة، ترجمة سعيد علي، النجف، ١٩٦٠.

٢٩- وديع ابو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التاسيس إلـــى الســـقوط، ط١، الاردن، ٢٠٠٣.

ثالثا: الكتب الاجنبية:

1- Edward Browne, Aliterary History of Persia Modern Times (1500- 1929), Vol. IV, Cambridge, 1928.
2- Jackson. Peter & Lockhart. Laurence, the Cambridge History of Iran, Vol.6, University of Cambridge, 1986.
3- Lockhart. Laurence. The Fall of The Safavi Dynasty and The Afghan Occupation of Persia, Cambridge, 1958.
4- Roger Savary, Iran Under the Safavids, First published University press, Cambridge, 1980.

رابعا: الدوريات:

١- احمد كاظم محسن البياتي، بلاد فارس والاحتلال الافغـــاني ١٧٢٢- ١٧٢٥، مجلة كلية التربية الاساسية، الجامعـــة المستنصـــرية، العـــدد ٥١، ٢٠٠٧.

٢- علي غنام، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج الذي (دور الاسرة الصفوية)، مجلـــة الخليج العربي، المجلد السابع عشر، العدد ٣-٤، ١٩٨٥.

٣- _____، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الاسرة الصفوية) الشاه عباس الثاني ١٦٤٢- ١٦٦٦، مجلة الخليج العربي، المجلـــد التاسع عشر، العدد ٣، ١٩٨٧.

خامسا: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

١- الموسوعة الحرة ويكيبيديا

http://www.wikibedia.thefreeencylopedia.